لبنان

« طواحين بيروت » والنقد

لا تزال رواية توفيق يوسف عواد « طواحين بيروت » تثير اهتمام الكتاب والنقاد والقراء على حد سواء . وقد تناولها بالدراسة والتحليل منذ صدورها قبل شهرين عدد من النقاد اللبنانيين كانوا مجمعين على انها حدث ادبي فريد في حياة الادب اللبناني العربي الذي يعاني بعض الركود منذ فترة من الزمن .

وننقل فيما يلي مقتطفات من مقالات هؤلاء النقاد والدارسين :

عصام محفوظ

الذي يقرا « طواحين بيروت » وهو يجهل توفيق يوسف عواد سيظن انه امام روائي من الجيل الجديد ارتفع فجاة الى مستوى كتابة ملحمة عن جيله ...

منذ روايته الاخيرة « الرغيف » ورائد القصة في لبنان الذي لا يزال سيدا في ميدانه ساكت يتفرج ، واذا هو ينفجر ليقذف على صفحات هذه الرواية الجديدة كل ما انصهر في جوفه . ان توفيق يوسف عواد شيخ القصة يختصر في « طواحين بيروت » الشباب في لبنان والبلدان العربية ...

قد لا يكون الصحافي الشاب احد ابطال « طواحين بيروت » هو لسان توفيق عواد الشيخ ، الا ان الكاتب يتعاطف معه في صرخته حتى يخيل الى القارىء انها صرخة عواد التي تنطلق من حنجرة مكتومة منذ عهد الاستقلال في لبنان . انها حنجرة راء كبير وقف يتفرج طويلا على الحياة بعيدا عن الوطن . وكم يصير الوطن واضحا عن بعد ، كم تصير الاشياء اوضح من خلال الكلمات المكتوبة والمسموعة عن بعد . وكما ان « الرغيف » قبل ثلاثين سنة وثيقة فنية رائعة عن لبنان الحرب الاولى فان « طواحين بيروت » وثيقة عن لبنان اليوم عبر شخصيات الطلاب ذوات القلق المصيري ...

ومعجزة الكاتب ليست في التفصيل ، ولا في الشخصيات ، ولا في اللقطات الحميمة المقطوعة من الحياة فقط ، بل في هذا المزج البانورامي للاحداث ، المزج العصبي الذي ضمن القواعد الكلاسيكية للرواية يخفض وتيرة السرد فيجر القارىء في قوة الى قلب الاحداث التي هي ابطاله .

ان توفيق يوسف عواد يخلق ويحرك الشخصيات من اجل التوسيع وتكبير الصورة الى ابعد حد . الصورة التي يريدها ان تجيء شاملة تصفع القارىء . واذا كان عواد لا يهتم بالتشريح الداخلي للشخصية ، رغم تركيزه الكبير على نفسية تميمه ، قدر ما يهتم بتشريح الواقع فلانه يؤمن بان الواقع هو الذي يعكس الشخصية وليس العكس . ولعواد فضلا عن ذلك موهبة تدري ان تقفز عبر عهدين متناقضين لتصل الى الشعر ، اي الى حنينه القديم الذي لم يتح له ان يتفتح في قصصه الاولى كاملا فانضجه الصمت والتغرب ، واذا روايته « طواحين بيروت » يترسب فيها الحنين فيختلط في مواقع كثيرة الشعر والواقع .

ولان كانت الثلاثون سنة الفائتة هي عمر صمت توفيق يوسف عواد فانه في « طواحين بيروت » يعود ليملأ الفراغ الذي تركه كما لو ان « الرغيف » لم تصدر الا امس . واكثر . ازداد اسلوب شيخ القصة اللبنانية عصبية وتكاملت رؤيته لعالمه . انه المعلم العارف جيدا باللعبة.

جريدة « النهار »

الدكتور جميل جبر

في « الرغيف » التي صدرت سنة ١٩٣٩ والتي ارخت مرحلة حاسمة للرواية العربية عبر توفيق يوسف عواد بقلمه الساحر عن الوعي الوطني في مجتمع يفتح عيونه على الثقافة والتحرر ، وفي « طواحين بيروت » يتصدى المؤلف الى موضوع اجتماعي سياسي هو موضوع الساعة في لبنان والبلدان العربية : الصراع العنيف من أجل كسر التقاليد والانطلاق الى آفاق جديدة خلال التململ الذي يستحوذ على الاجيال الصاعدة والثورة التي تعتمل في نفوسهم .

تتعاقب في الرواية التي تشكل وثيقة تاريخية حية عن العصر ، صور نموذجية لكل الطبقات ولكل العناصر والتيارات . والمؤلف يتتبع شخصياته بين القرية والمدينة ، ويضع اصابعه على مشاكلهم وخلجات نفوسهم ، منوعا اسلوبه بحسب محيط كل منهم وطبعه ، ومنوعا في الوقت نفسه اللغة التي يتحدث بها عنهم او يتحدثون هم بها . وهو لا يصفهم الا في المواقف الحادة ، فكأن الاحداث هي وحدها التي تعطيك عنهم صورة ما هم وما يريدون .

من خلال منطقة ، او قرية او مدينة ، يقدم لنا توفيق يوسف عواد لبنان كله ويعريه من كل برقع او زخرف ، وذلك بفضل موهبة له في قوة الايحاء وفي بعد الملاحظة وفي قدح الشرارات ، كل ذلك في لغة رقيقة غاية في الدقة والتوهج ، بحيث نجد انفسنا في النتيجة امام الحياة التي نعيشها كل يوم . و « طواحين بيروت » شهادة على زمان ومكان معينين على المجتمع الذي نتخبط فيه ـ مجتمعنا ـ يختلط فيها الواقع والخيال اختلاطا فنيا رائعا .

ان « طواحين بيروت » تاتي لتلتحق باختها « الرغيف » وتؤرخ هي الاخرى مرحلة حاسمة كذلك في الرواية العربية .

من مقال بالفرنسية في « الصفاء »

الدكتور ميشال عاصي

في « الصبي الاعرج و « قميص الصوف » وخصوصا في « الرغيف » استطاع توفيق يوسف عواد ، منذ اكثر من ربع قرن ، ان يكون احد فرسان الطليعة في الفن القصصي اللبناني .

ولربما اصر بعض نقاد الادب على اعتبار توفيق يوسف عواد رائد الرواية العربية عندنا، وعلما من اعلامها الكبارفي فترة ما بين الحربين، في البلدان العربية قاطبة .

ومهما يكن فقد لا تتفق الاراء على تحديد المكانة التي ينبغي ان يحتلها هذا الاديب الروائي بالنسبة الى كتاب القصة العربية في لبنان وخارجه . لكن احدا لا يستطيع ان ينكر القيمة البالغة التي يتمتع بها ادبه من حيث البناء الجمالي للفن القصصي ، ومن حيث دلالاته الاجتماعية في آن معا .

واذا كانت الاحاطة باعماله الادبية السابقة لا تتطرح الا بمقدار ما يجب التنويه بالآثار الماضية ذات الحضور الدائم في ذاكرة القراء ، وفي الفعل الادبي والتاريخي ، فان التدقيق في روايته « طواحين بيروت » الصادرة مؤخرا عن دار الاداب امر لا بد منه لتحديد الهوية

الجمالية التي يعود بها توفيق يوسف عواد الى الخط الروائي ، بعد فترة طويلة من غيابه عنه ، وبعد ان سارت الرواية العربية والعالمية فيه اشواطا تجاوزت نفسها وحدودها في اكثر من مكان ، واكثر من وجه .

فمن هو اذن اليوم توفيق يوسف عواد كأديب قصاص بالنسبة الى ما يتوسل من تقنيات الفن الروائي ، وكانسان مفكر بالنظر الى المداولات الاجتماعية والابعاد التاريخية التي يحتضنها فنه وتوحي بها خلفيات الحوادث ، وسلوكية الاشخاص ، والمناخ القصصي العام لادبه الروائي ورؤياه الفنية والجمالية ؟

بمعنى اخر ، ما الحقيقة الفنية لروايته الراهنة « طواحين بيروت » ؟ ما الواقع الاجتماعي الذي تعكسه ؟ وما مكانتها بالنسبة الى حركة الرواية العربية اليوم ، والى حركة الحياة واتجاهاتها في الآونة التاريخية الحاضرة ؟

ولكي تتخذ الاجوبة عن هذه التساؤلات مضامينها الواضحة وابعادها الدقيقة ، لا بد من ان نعرض موجزا لموضوع الرواية ، وهو الهيكل الرئيسي الذي نسج حوله المؤلف خيوط الحادثة القصصية ، وبنى عليه بناءه الفني بعناصره المختلفة من سياق ، وشخصيات ، ومشاهد بيئية ، مما يدخل في نطاق الصناعة التقنية للفن الروائي ، ويحدد هويته الجمالية وقيمته الابداعية الخاصة ، كما بنى عليه ، وبواسطته ، الخلفية الفكرية والمداولات الاجتماعية والانسانية العامة المرتبطة حكما بالنسيج الجمالي لروايته ـ ولكل عمل فني على الاطلاق ـ سواء وعي الكاتب وجود هذا الارتباط الضمني ، وهدف اليه اراديا ام لم يهدف .

وموضوع الرواية ـ كما في كل رواية ـ يتركز مبدئيا ـ على علاقات وروابط حياتية يقيمها المؤلف بين نماذج متنوعة من الشخصيات بحيث يصبح ابراز تلك الروابط وبلورة تلك العلاقات وصوغها في سياق قصصي مترابط ومتدرج هو المادة الفنية لعنصر الحادث ، كما يصبح ذلك كله ، بالاضافة الى الوصف الداخلي لحالات الاشخاص النفسية ، والوصف الخارجي لسلوكهم ومواقفهم ، هو المادة الفنية لبث الحياة والحركة في القصة ، وخلق النماذج الانسانية المعبرة والمتكاملة ، ليتالف من كل هذه المقومات الفنية في النهاية صورة مكثفة تعكس التناقضات التي يراها القصاص قائمة في الحياة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة في آن معا ، كما تعكس سير الحياة وتطورها من وجهة نظر الروائي ، وانطلاقا من مفهومه الفلسفي للحياة والعالم .

اما من الناحية العلمية ، فان موضوع « طواحين بيروت » يتمثل في ان الفتاة تميمة نصور ، وهي من قرية تدعى الهدية في قضاء صور ، تطمح بعد نيلها شهادة البكالوريا اللبنانية من احدى مدارس البنات في صيدا ، الى الالتحاق بالجامعة في بيروت ، تخلصا من حياة الكبت والرتابة التي تعيشها مع امها وفي المدرسة بين الهدية وصيدا ، وفرارا من الوحدة التي تعانيها بعيدا عن اجواء الشباب والحركة في العاصمة ، وبعيدا عن حنان والدها تامر نصور المهاجر منذ سنوات عديدة الى افريقيا ، وعن رفقة شقيقها جابر نصور الذي حقق امنيته قبلها بمغادرة القرية والسكن في بيروت والتمتع بمباهج الحياة ومفاتنها تحت ستار الانتماء الى الجامعة للدراسة .

وفي احدى الزيارات التي تقوم بها والدتها مع بداية العام الدراسي لتفقد ابنها في العاصمة استطاعت تميمة ان تفرض رغبتها في مصاحبة امها ، برغم تحذير جابر ومعارضته الشديدة لمثل هذا العمل ، لان اخته ليست لبيروت ولا بيروت لها ، بل عليها ان تبقى في المدرسة بصيدا ، وان تبقى مع امها في الضيعة الى ما شاء الله .

وفي بيروت حيث يسكن جابر عند السيدة روز خوري تبدا اولى الحلقات التي ستربط مصير تميمة بالحياة في العاصمة خلال العام الدراسي الاخير الذي بقي لها في صيدا ، واثناء اقامتها من بعد في بيروت ، فهناك في بيت السيدة روز خوري تعرفت الى الكاتب الاستاذ رمزي رعد ، الذي طالما قرات مقالاته الثورية فاعجبت بها ايما اعجاب ، والذي استدرجها الى الشقة التي كرسها في شارع الحمراء لخلواته الغرامية حيث راح يشعل معها ثورة جامحة من ممارسات جنسية لم تخمد نارها ، حتى بعد ان احبت الطالب الجامعي هاني الراهب وبادلها هذا حبا مثاليا طاهرا .

وهناك ايضا ، في بيت السيدة روز خوري ، حاول اكرم بك الجردي بمساعدة صاحبة المنزل ان يدخلها في قائمة معشوقاته .. وفي بيروت ، وعن طريق اكرم بك والسيدة روز نزلت الى حلبة العمل والصراع من اجل العيش . لكنها لم تستطع لا دخول الجامعة ، ولا الزواج من هاني الراهب الذي احبته ، وكادت ان تكون كفيرها من الناس طعما لطواحين بيروت لولا انها ، بعد مقتل صديقتها ماري ابو خليل وهي ترد عنها رصاص اخيها جابر الذي جاء يقتلها انقاذا لشرف العائلة من سلوكها الشاذ في نظره ، وبعد استشهاد الفدائي ابو الهول ابن صديقها العامل ابو عزيز اليافاوي ، قررت ان تذهب « مع الليل الى ان يطلع فجره » ملتحقة هكذا بالفدائيين مستبدلة باسمها اسما تنكريا اخر .

هذا باختصار كلي هو الهيكل القصصي للرواية . وقد عملت ريشة توفيق عواد على نسجه نسجا قصصيا كلاسيكيا . لا يستطيع القارىء الناقد امامه ، مهما تكن ميوله واتجاهاته ، الا ان يستسيغ سياقه المتوازن المتدرج وان يستعذب نقاءه ، ويعجب بتسلسله الفني على تنوع بارع ، وتنقل غني رهيف في التقاط الاحداث والمشاهد من مختلف الزوايا ، شأن الكاميرا العبقرية التي تعرف كيف تجمع بين النظرة الافقية الرحيبة وبين الغوص على الدقائق . وتتبع التفاصيل حتى الاعماق ، والربط فيما بينهما جميعا بخيوط ضمنية تصهر الحادثة في لحمة متينة على تعدد لوحاتها وتناقض وجهاتها . على ان تفصيل الحوادث لا يخلو من تناقضات طفيفة (ريفية من وسط محافظ وتجيد السباحة . ص ٨٣) كما لا يخلو من بعض التركيبات المصطنعة (انتشال المعلم حسيب التلميذ حنا من النهر قبل ان ينتشل اخاه محمودا الذي يغرق فيموت ص ١٢١) .

وهنا قد لا تطالعنا واحدة من تقنيات الرواية الحديثة . فتوفيق يوسف عواد لا يعتمد اساسا على جمالية التداعي وتداخل الزمن . ولا هو يتوخى التاثير بالاستناد الى لا معقولية السياق القصصي ومسلكية الاشخاص ومواقفهم . ولغة الاداء في طواحين بيروت تكاد تخلو كليا من طرافة الصور ، وبراعة الرؤيا اللغوية في الوصف والتحليل . وهو من هذه الوجهة التقنية بعيد كل البعد عن مجاراة العديد من روادالحداثة في القصة العربية والعالمية . بل انه بعيد حتى عن مواكبة محاولات الناشئين في هذا المضمار .

ولا ريب في ان الحكم على طواحين بيروت من هذه الزاوية فقط يفقد الرواية قيمتها الفنية الذاتية ، فضلا عن انه يسهم في تشويش معايير النقد ، اذ ينكر امكان التعايش بين المدارس الادبية المختلفة ، وامكان الابداع الا فيما هو من معطيات الحداثة ، وامكان التذوق الا في هذا الاتجاه وحده دون غيره من الاتجاهات والمدارس الجمالية السابقة ، ولا سيما الاصولية بنوع خاص .

الواقع ان توفيق يوسف عواد ينهج في طواحين بيروت النهج الجمالي الكلاسيكي الذي سارت اعماله الفنية فيه منذ اكثر من ربع قرن ، كما سارت فيه معظم الاثار القصصية اللبنانية والعربية لتلك الفترة . واذا كان واضحا ان الرواية العربية قد تجاوزت اليوم جميع التقنيات الاصولية للفن الروائي الكلاسيكي ، وان ما ينتجه في لبنان وخارجه ادباء كيوسف حبشي الاشقر ، او كالطيب صالح ، او كزكريا تامر مثلا ، وغيرهم ، يناقض في اكثر من وجه مقومات القصص العربي الاصولي من حيث السياق واللحمة ولغة الاداء وغيرها من عناصر الجمالية

القصصية ، فان من الواضح ايضا ان توفيق يوسف عواد قد تجاوز في خطة الفني حدود ابداعاته السابقة الى مستويات ارفع وانضج نضفي على طواحين بيروت القا فنيا اسطع مما تتوهج به اعماله القديمة ، وتكسب براعته الاصولية رهافة واكتمالا يجعلان من ريشته بحق ريشة الرائد الاستاذ في الاتجاه الذي ينهج ، كما تكسب الجمالية الكلاسيكية لفن الرواية العربية بوجه عام اضافات توطد دعائمها عندنا ، وتعزز من بنيانها ، تغني تراثها بالاصالة والابداع .

والحق انني برغم ميلي الى الاتجاهات الحديثة في الفن والادب ، وبرغم الضعف الذي استشعره في نفسي تجاه الاثار المقسمة بطابع الحداثة ، والفتور المسبق الذي يلازمني ازاء الاثار المهورة بخاتم الاتباعية ، لم املك ، وانا اطالع « طواحين بيروت » الا ان احس على الدوام بانني ، سواء من الناحية الفنية ام من حيث الابعاد الحياتية للظاهرة الفنية ، امام عمل يتفجر بالطبيعة الادبية ، وتزدحم فيه المؤثرات الجمالية الاصولية الى الحد الذي يكبر فيه حجمه وتتعاظم قيمته لتمسي الرواية الكلاسيكية على يد توفيق يوسف عواد وكأنها لم تشخ على مر الايام ، بل انها من صلب حركة العصر ولم تزدها محاولات التجديد القصصي والتحديث الروائي الا جلالا ومهابة .

ولعل ما لا يزال يعلق بالرواية العربية الحديثة من شوائب التقصير في بلوغ النضج التقني اللازم ، وما يعتور مناخها من فجاجة التصنع الاسلوبي والافتعال الجمالي في معظم الاحوال هو احد الاسباب المباشرة التي تزيد من قيمة الجمالية الكلاسيكية للرواية العربية متى توافرت لها مؤثرات ابداعية كالتي يجيدها توفيق يوسف عواد ، وتضافرت على خلقها موهبة ادبية اصيلة ومكتنزة كموهبته .

ولربما لان الرواية الكلاسيكية العربية لم تستنفد بعد ، لا على صعيدها الذاتي الخاص ، ولا على صعيد القراء ، كل طاقاتها من امكان التاثير والتاثر ، فانه يظل لطواحين بيروت ، ولكل اثر روائي من المعدن الفني ذاته ، مكانة مشروعة في الحركة الادبية الراهنة وان تكن هذه الحركة قد تخطت في منطلقاتها الى افاق تختلف عن افاقها في كثير من المقومات والوسائل والغايات .

ومهما يكن فان موجز الانطباعات التي راودتني حول القيمة الفنية لهذا الاثر تجعله اقرب الى القلب واعذب من معظم المحاولات الروائية الموسومة بالحداثة والتجديد .

من هنا يمكن القول بان توفيق يوسف عواد لا يستانف بعد ربع قرن المسيرة التي توقف عندها مثلا وكأنما الزمن من حوله لم يتغير ولم يتبدل ، او كأنما روايته جاءت متاخرة عن عصرها ومتخلفة عن حركته وايقاعه ، بل ينبغي الاقرار بكثير من الثقة بانه يواصل النهج الفني الذي كان له شرف ريادته في السابق ، عاملا على اغنائه وتطويره بوسائل ولمسات تدفع به الى مزيد من العافية ومزيد من الصفاء والاكتمال .

ولعل في الابعاد الفكرية والمدلولات الاجتماعية التي ارادها لروايته ما يشدها الى واقع الحياة اليوم ويقربها من معاناة العصر اكثر مما تشدها اليهما الاسلوبية الفنية التي يمارس والتقنية الجمالية التي ينسج .

والان لا بد من استخلاص وجهة نظر الكاتب التي تستبطنها الاحداث وتجسدها مواقف الاشخاص ، ويوحي بان المناخ العام للرواية كبعد خلفي لها ، واطار فكري وانساني لايديولوجية الكاتب المعبر عنها بالظاهرة الفنية ووسائلها الجمالية . فماذا تريد الرواية ان تقول ؟ واين يقف فكر الكاتب من احداث عصره ، وواقع بيئته ومجتمعه ؟

ان القارىء الناقد ليؤخذ فعلا بفنى الابعاد التي تكمن وراء النسيج القصصي لطواحين بيروت وبتنوع المدلولات التي تكشف عنها المقومات الفنية لهذه الرواية .

على ان ابرز تلك الابعاد هو ، بلا شك ، البعد الاجتماعي ، بما يشتمل عليه من صور الحياة في البيئة اللبنانية الراهنة على تنوعها بين العاصمة والريف ، وبما تسجله من نماذج العقليات والنفسيات المتعايشة والمتصارعة في خضمها الزاخر . وبما تبرزه من قضايا ومشكلات تعاني منها اوسع الفئات والطبقات الاجتماعية في لبنان .

ولا مناص امام تلك اللوحات المختلفة التي تلتقطها ريشة المؤلف وترسمها بدقة فنية موحية ، من الاقرار بان توفيق يوسف عواد ما يزال يعيش في قلب المجتمع اللبناني ، ويراقب احداثه ، ويقف الى حد بعيد على منابع القوى السائدة فيه والمتفاعلة سلبا وايجابا في ميدان تأخره ونموه .

واذا كانت الاسلوبية الكلاسيكية هي التي تحدد هوية « طواحين بيروت » الفنية ، فان الواقعية النقدية هي الصفة الاكثر ملاءمة لتحديد هوية النظرة الفكرية التي ينطلق منها الفنان ليصوغ بناءه الجمالي على اساسها . وذلك يعني ان موقف الكاتب من المجتمع هو موقف الذي يوجه الاضواء التحليلية على النواحي السلبية واللاانسانية في الحياة محاولا ، في الوقت نفسه ، ايجاد الخيط الابيض المفضي الى الخلاص من بؤس الواقع السائد وشروره .

على ان المرتكز الاساسي لهذا النوع من الواقعية يكمن في تفصيل الجوانب السلبية واللاانسانية وتقصيها الى ابعد حد ممكن ، في حين ان منافذ الضوء والامل بالخلاص تظل في مرتبة ثانوية بالنسبة الى اهتمامات الكاتب .

وقد لا يكون لها حتى عند بعض كبار الروائيين اثر يذكر . او قد تكون خارجة عن منطق التاريخ ، وشاذة عن خط صيرورته لتظل على ملامح دنيا طوباوية ، وترتبط بمفاهيم ميتافيزيقية لا صلة لها بعالم الواقع وحركته الجدلية وتناقضاته .

وعلى كل حال فان مسالة انفتاح الواقعية النقدية على حركة التاريخ الايجابية وعلى القوى النامية في الحياة او انغلاقها دونها امر مرهون والرؤيا الفكرية والايديولوجية لدى الكتاب من حيث الاتساع او الضيق ، ومن حيث العمق او السطحية ، والترابط او التشتت . اي انها مسالة تتعلق اصلا بمفهوم الروائي او الاديب للحياة وتطورها التاريخي .

ومن حسن الحظ ان الواقعية النقدية في الابعاد الفكرية والاجتماعية « لطواحين بيروت » ليست تقوم فقط على رفض الواقع . وليست تفضي الى عبثية الحياة ولا معقوليتها . وانما يقترن رفض الواقع بدافع ملازم الى تغييره . لكن التوجه نحو الرفض والتغيير يبدو في نظر المؤلف وكأنه امر ليس في غاية الجدية ، ولا يعدو ان يكون ثورة لفظية زائفة لا تقترن بفعل ، او هي تقترن بفعل مناقض كما تجسدها شخصية الاستاذ رمزي رعد .

او انها في احسن الاحوال ، حركة بريئة قاصرة تفتقر الى التجارب وشدة المراس ، كما تمثلها شخصية هاني الراهب ، اما اذا شاء احد ان يقول بان شخصية تميمة نصور هي نقيض الواقع لانها نقيض شخصية اكرم بك وروز خوري وسائر من يتمثل بهم قبح الواقع السائد وظلمته ، فان احداث الرواية ، ونمو شخصية تميمة نفسها ، وتطورها خلال مجمل الرواية ، لا يمكن ان تتيح اية فرصة لقبول هذا الزعم ولتبرير التحاقها بالفدائيين وتذهب « مع الليل الى ان يطلع فجره » .

قد نستسيغ تفاؤل واقعية توفيق عواد النقدية في مثل هذه الخاتمة ـ البداية ، ولكننا لا نستطيع اعتبارها خلاصة طبيعية نابعة من قلب الصراع التاريخي في روايته ، وتعكس واقع الصراع في مجتمعنا. على انها تعبر عن حدود رؤيته الايديولوجية الى الناس والاحداث ، وترسم بوضوح ابعاد تلك الرؤيا وطبيعتها المعاصرة عن ادراك حقيقة القوى النامية في واقع الحياة ، وعن تحليلها بدقة وتفصيل مثلما تحلل الوجه السلبي البارز للقوى المتحجرة المنهارة .

ومع ذلك تظل « طواحين بيروت » في اعتقادي احدى الشوامخ

الروائية في القصص اللبناني المعاصر ، لا سيما الكلاسيكي منه .

وتظل واقعيتها النقدية خطوة كبيرة نحو واقعية تحيط بحركة الصراع التاريخي وتنافضاته احاطة اشمل وادق ، لا يفوتها استجلاء مسار التقدم وتحليله ، كما لا تفوتها عبقرية الغوص على مكامن التقهقر والانحدار .

وفي كل حال ، تبقى رواية توفيق عواد هذه شهادة ساطعة في الفن على قطاع واسع جدا من حياة اللبنانيين وتفكيرهم ونفسياتهم في هذه المرحلة الحرجة من تطورهم التاريخي الحديث .

« الانوار »

انسي الحاج

لا تسألوا عن روايته الاخيرة اذا كانت مع هذه الفكرة او ضدها ، مع هذه العقيدة او ضدها ، مع هذا البطل من ابطالها او ضده .

لن تجدوا الجواب !

لماذا

لان السؤال مغلوط ، فليس هذا هو السؤال .

« طواحين بيروت » ، روايته الاخيرة ، تقرأ دفعة واحدة . تحبس انفاسك وتضرم فيك الاعصاب وتصالحك مع « الرواية » .

تقرأ رواية ، لا فلسفة ولا نظريات . رواية باشخاص يحيون ، ينبضون بعنف ، يرسمون مصيرهم بتوهج وصراخ ويتمزقون كل صفحة، وحين يتحركون يحركون معهم الهواء لا الافكار ..

وحتى حين يضع الكاتب على لسانهم افكارا يتصارعون بها ، كافكار الثورة والتحرر الجنسي والعنف واللاعنف الخ ... حتى عندما يصبحون « ابطالا مثقفين » ، لا يغيب عن بالك لحظة واحدة انهم اشخاص من لحم ودم ، لا اثر فيهم للزيف او التكلف ، بل يشهدون على عصرهم ومحيطهم شهادة حادة ، حادة جدا ، كالقلم المروس المروس الى حد تحسه سينكسر بعد حين ... ولكنه لا ينكسر .

قلم توفيق يوسف عواد ؟

قلم توفيق يوسف عواد هم المهم . هو السؤال وهو الجواب .

« الكتابة »

يسوقها اليك بقدر من الحرارة والجمال لا تعود معه تسأل ، بل تنجرف . تستسلم .

ويعيش ابطاله فيك ، بعد القراءة ، طول العمر .

هل تذكرون « الرغيف » ؟ « الصبي الاعرج » ؟ «قميص الصوف»؟

لا يزال توفيق يوسف عواد هو نفسه بعد ثلث قرن .

بل هو اليوم أهم . اهم لانه بعد ثلث قرن عاد يكتب لجيل اليوم وعن جيل اليوم رواية اليوم ، الرواية التي لم يكتبها لهذا الجيل احد.

عاد وكتبها كأنه لم يغب سنة واحدة عن الرواية ، وكأنه لا يفصله عن هذا الجيل ، جيل « ثورة الطلاب » سنة ١٩٦٨ ، جيل « عار اللامقاومة » لا ثلث قرن ، ولا السلك الدبلوماسي ، ولا شيخوخة من اي طراز كان .

عجيب توفيق يوسف عواد . كنا حسبناه صار على الرف ، فاذا هو ينط كالرفاص ويطير عاليا كالنسر .

عجيب فعلا .

حسبناه دخل التاريخ ، فاذا هو لا يزال يصنعه ...

« ملحق النهار »

عاصم الجندي

انا من جيل معقد وحين فتحت عيني على دنيا القصة كان توفيق يوسف عواد يملأها ...

ونزلت « طواحين بيروت » الى الاسواق بعد صمت طويل للكاتب . فهل تقول « طواحين بيروت » لعشرات بل مئات القصص القصيرة والطويلة : اخلي الساحة اريد ان أمر .

ان اول ما يسترعي الانتباه في « طواحين بيروت » هي اللغة ، فهي اكثر ما يذهل ، وقل ان قرأت لكاتب في هذه المرحلة فوجدته متمكنا من اسرار لغتنا بهذا الشكل . لم يقم الكاتب بعرض عضلات لغوية ولم يسف او يبتذل . فنان واثق من ريشته او ازميله ، يعمل بهدوء ، بسهولة ، بثقة وعفوية دون ان يلقي بالا لغير ابداعه . فهو اذ يصف مثلا ساعة وصال بين رمزي رعد وتميمة نصور يدخل حتى في التفصيلات الحميمة ، لكنك تحس انه ، بقدرة قادر ، نقلك الى كل زوايا الحياة الجنسية ، لم يخبيء اية « عورة » وذلك دون ان يخدش حتى حياء الفتاة التي لما تبلغ سن المراهقة بعد . لقد سافها لان سياق القصة يفرض ذلك ، دون ان يكون القصد دفع البضاعة الرائجة الى السوق . وهو من هذا الجانب اكد قدرة اللغة العربية الفصيحة ، وحيويتها ، على تناول كل شيء ... وهو في كل هذا يقول للقارىء وللكتاب خاصة : اتقنوا اللغة بمثل هذا المستوى ، تملكوا اسرارها ، ثم تصرفوا بها على هواكم . اما ان تشتموها دون معرفة بها فأمر في منتهى السخف .

شخصيات الرواية رسمها توفيق يوسف عواد بدقة واناة . تثور على بعضها ، لا ترضى بتصرفات البعض الاخر ، لكنها تفرض نفسها عليك في النتيجة لانها منتزعة من الواقع ، تستطيع ان ترى الاف الامثلة لها من حولك كل يوم ...

ان المؤلف يطرح قضايا الساعة ويدخل في تفصيلات الحياة السياسية ... وبالنسبة الى الفدائيين تناول صاحب « الطواحين » الموضوع باسهاب ، وفي اكثر من موضع ، وبجراة وهدوء ، فوضع يده على مواضع الداء دون خوف ولا مداراة ، او احتماء بقدسية زائفة كما يفعل غالبية كتابنا في هذه الايام خاصة من وظفوا انفسهم كهنة لطقوس العمل الفدائي . لقد ابرز الجوانب الايجابية فيه ، والسلبية ايضا ، من خلال نماذج قدمها الينا ...

ان « طواحين بيروت » تشد القارىء اليها بخيط من سحر .

« ملحق النهار »

ابراهيم الحلو

« طواحين بيروت » تطحن الخبز والحب والانسان ، وهي رواية عصرية بالمعنى الاوسع للكلمة . فيها من كل حياة صور : القرية اللبنانية على تفاوت مستوياتها ، من جبل عامل المتخلف الطموح ، الى جبل عكار المتخلف بلا طموح ، مرورا بجبل لبنان المتطور ولكنه ما يزال اسير طائفية معششة في جماجم بعض مخاتيره ووجهائه ، انتهاء بالمدينة اللبنانية بيروت .

وابطال « طواحين بيروت » ناس عاديون جاء بهم المؤلف من هنا وهناك وهنالك . طلاب جامعيون من كل لون وكل اتجاه . متطرفون ، يساريون ، يمينيون ، معتدلون ، ولكنهم كلهم معقولون . قرويون فيهم سذاجة وفيهم خبث وجشع . فوادون ، مومسات ، غانيات ، مستنوبون صحافيون ، عتالة على البور ، زعماء اقطاعيون ، قبضايات ... الى آخر موزاييك المجتمع اللبناني العجيب .

القاسم المشترك الاعظم بين هؤلاء جميعا هو هذا : ليس فيهم ملائكة ولا شياطين . لا الخير كله ولا الشر كله . لكل منهم فضائله الصغيرة والكبيرة وكذلك رذائله . والرائع عند المؤلف انه لا ينحاز الى اي من ابطاله . وليس اقتل للفن من الانحياز . ابطاله بشر من لحم ودم . واللحم ضعيف كما يقول المثل الفرنسي . فلماذا لا نريد لتميمه ان تضعف مرة بل مرات ؟

و « طواحين بيروت » حافلة بالحركة ، ضاجة بالحياة ، مشحونة بالانفعالات على خلوها من ثقالة التحليل النفسي على طريقة المدرسة

الرومانسية البائدة . المؤلف لا يقحم نفسه في الاحداث . لا يهتم بتعريفنا على ابطاله باوصافهم واخلاقهم ونصوراتهم للحياة . يترك هذه المهمة الدقيقة للاحداث ، للحركة . هي التي تصور كل بطل الصورة التي ارادها المؤلف له وهي التي تحدد معالم شخصياتها كلها .

والرواية الملم بمعظم ما يشغل بال اللبنانيين واتعرب من مشكلات في هذا الثلث الاخير من القرن العشرين : مشكلات الحياة ، الخبز والحب. ومن فرغ من مشكلة خبزه انصرف الى مشكلة حبه . هكذا كان في الماضي . اما اليوم فقد تعقدت الحياة وتشعبت مشكلاتها . الخبز مثلا يدفع الى اتخاذ موقف سياسي ، والحب يحدو بصاحبه لتحطيم اقفاص التقاليد وسلاسل الشرف الرفيع ... ومن الخبز والحب تنطلق كل الشرارات ...

ابرع ما في « طواحين بيروت » ان المؤلف استطاع دمج كل الخيوط وما اكثرها ليضمها في الختام ويعقدها ثم يفك العقدة . وفكها لم يكن ماسويا .

الابطال ما مات منهم غير المس ماري خطا وابو الهول في ساحة الفداء وزنوب على الروشه . اما الاخرون فقد هاموا على وجوههم وانطلقوا في دروب الحياة المترامية ... ما همنا اين ذهبوا بعد ان عرفنا من احوالهم ما عرفنا .

« الجمهور الجديد »

اميلي نصرالله

توفيق يوسف عواد رائد القصة الواقعية في لبنان واستاذها . منذ ربع قرن والاجيال المتعاقبة تقرأ قصصه ، وتعيش مع احداث روايته ، وتتالم وتفرح مع شخصياته . اسلوبه سلس عذب ، يستأثر بالقارىء ، ويأخذه في سفرة عبر الاحداث وتفاعل الشخصيات فلا يتوقف فيها قبل ان يطوي الصفحة الاخيرة .

هكذا هو في روايته الجديدة « طواحين بيروت » ... هنا نجد الواقع الكاسح الماسح . وغاية المؤلف ان يقدم لنا الصورة الجديدة للمجتمع من خلال مسلك المرأة . فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي التي تحدد هوية العصر . وتدور بنا الرحى في « طواحين بيروت » بسرعة فلا تترك لنا مجالا لالتقاط الانفاس . وتتدافع الاحداث بقوة فتنشب اظافرها في النفوس لتدمي كل امل وتجرح كل حلم ، وتتركنا في مواجهة هذه الصورة القاتمة الرهيبة نفكر : اما من سبيل للخلاص ؟

الاذاعة اللبنانية

عيسى الناعوري

توفيق يوسف عواد روائي عملاق قل في الوطن العربي من يكتبون مثل « الرغيف » التي صدرت له قبل ثلث قرن ، واخواتها « الصبي الاعرج » و « قميص الصوف » و « العذارى » . وها هو اليوم يعود في « طواحين بيروت » بقلمه الشامخ . القلم الذي يكتب بنعومة وسلاسة أروع ملاحم الحياة ...

حكاية الجيل العربي الجديد في التعبير عن نفسه بحريه تتيحها له بيروت كما لا يتيحها اي بلد عربي اخر . حكاية طلاب الجامعات الذين يقفزون من وراء مقاعد الدراسة . حكاية الضياع المطلق الذي تعيشه الاجيال العربية الجديدة في متاهات اكثر عددا من دول الجامعة حكاية المجتمع العربي باسره وحكوماته واحزابه وعقائدياته ...

جمع توفيق يوسف عواد كل ذلك في « طواحين بيروت » ونقد النقد الجارح المرير ، وقدم الصورة الصحيحة الصادقة ، في اروع اطار فني وابرع حبكة روائية .

عمان

مجلة « الكلمة » ــ العراق

قراء توفيق يوسف عواد الذين احبوا الرغيف و « قميص الصوف » و « الصبي الاعرج » . والذين وقفوا من « العذارى » موقف تامل وتساؤل . كانوا ينتظرون ان يطالعهم بأي شيء الا بروايته الجديدة « طواحين بيروت » .

في مطالعة « الرغيف » تعيش اجيال ما بعد الحرب العالمية الاولى ظروف هذه الحرب واجواءها . جمال باشا عملاؤه جواسيسه ظلمه والترف العثماني على حساب قيم الحياة البدهية . كنا نظنه مبالغا ذاك الكتاب الذي يدعي تصوير كل لحظة من لحظات تلك الفترة من تاريخنا .

واذا « بطواحين بيروت » تتحدانا فتدعونا الى معرفة عالم محيق بنا . أتت الرواية شهادة صادقة لصاحبها : فالعائلة التي رسم بعلاقاتها ومثلها وتصرفاتها و « تميمة » الصبية التي تكتف بالاحلام بل تجرات على تحقيقها في بيروت ، وقضايا الطلاب ومظاهر العنف وظاهرة الشهرة لدى رمزي رعد الذي يسعى الى سد حاجاته المباشرة عبر الادب والصحافة ، وغيرها مما يسود عصرنا ويسود مدينة بيروت.

كل هذا روته « طواحين بيروت » ملقية على ما نعيش كل يوم نورا جديدا يمنح كل حدث وكل انسان ظلالا تبرزهما ومعهما بسمة كل منهما .

والهجرة والمهاجرون في الرواية لم يصورهم الكاتب كما يزخر بهم الواقع بل كما يتحركون في ضمائر الناس . رواية أحداث ظاهرا لكنها في الواقع حركة دائمة حفلت بها أعماق الناس فصارت كل شخصية من شخصياتها نموذجا بشريا نلتقيه في كل مناسبة .

الذي يقصد بيروت من القرية او من بلد آخر عرضة لان تلتهمه المدينة الصاخبة « مقاهي شارع الحمراء » وحجارة «الطلاب المتظاهرين» فيضيع .

أما الذي يقرأ « طواحين بيروت » فهو يمسك هذه المدينة بيديه. ناظرا الى اعمق اعماقها مدركا منها ما لن يدركه الضائعون فيها والتائهون بين ازقتها وفي منازل « الست روز » المنتشرة فيها .

« م. ن »

« دار الآداب تقدم »

مؤلفات كولن ولسون

الشك	ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق	٥٠٠
ضياع في سوهو	ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق	٤٠٠
طقوس في الظلام	ترجمة فاروق محمد يوسف	٧٥٠
القفص الزجاجي	ترجمة سامي خشبة	٦٠٠
اللامنتمي	ترجمة أنيس زكي حسن	٥٠٠
مابعد اللامنتمي	ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب	٤٥٠
سقوط الحضارة	ترجمة انيس زكي حسن	٦٥٠
رحلة نحو البداية	ترجمة سامي خشبة	٩٠٠
المعقول واللامعقول في الادب الحديث	ترجمة أنيس زكي حسن	٥٥٠
أصول الدافع الجنسي	ترجمة شرورو وسمير كتاب	٦٥٠